Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن القديسة تريزا أظهرت صبراً بطولياً مكّنها منه نار حبّ إلهي عرفته مدى حياتها. تعذّبت مع المعذّبين، وصلّت مع الجميع ومن أجل الجميع، قلبها المتألم، روحها الصافية النقية، مشاعرها الصوفية، وجّهت أعمالها الرسولية على مستوى الحياة والكلمة فاتضحت في مجمل نتاجها مضمون أدب رسولي تبشيري وأسلوباً طبيعياً دقيقاً متألقاً، ينحرّ في حالات الانحرار والألم ويهدأ في حالات الهدوء والراحة.

في البداية تركّز أسلوبها المتورّع في التفكير التأملي منطلقاً من قراءات تتجاوز المحسوس. إنه تورُّع «فكري» و«أدبي» يتأكّد فيه النزوع عما هو أرضي وعن المشاعر الذاتية فيؤدي إلى تأملية مغيَّبة في لا منتهية الله.

وبعد أن قال لها يسوع المسيح في الرؤيا الشهيرة «أنا أعطيك كتاباً حياً» عرفت تبدُّلاً تدريجياً على المستوى الأسلوبي ودخلت في مرحلة أشدّ تمرُّساً بالتمثُّل الذهني، وفي الوقت نفسه صارت الرؤى الصوفية تأملات زهدية. وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجعل قراءتها صعبة ومشوِّقة، تشدُّنا إليها سلاسة تعبيرها النشيط، وإن غابت عنه منهجية دقيقة وضابطة.

في قراءتك لها بدون انقطاع تتبعثر أفكارك لما في كتاباتها من تطوّر غير مرتقب. ولكن سلاسة تعبيرها النشيط جاءت وليدة طبعية تكتب من دون مراجعة، كيفما جاء الكلام نزّلته على الورقة بشعبية غريبة ومفاجئة تدلّ على فعل اتضاع رسولي. هذا من جهة، ومن جهة ثانية إن دورها كرائية صوفية، كمصلحة ثورية، يهوّن على علماء اللاهوت الاعتقاد بعدم أهمية ما يمكن أن يكون خطأ في نظرهم على سبيل الريبة والاشتباه. هذا، مع الأخذ بعين الاعتبار أن القديسة تريزا كانت تكتب بطاعة، بخضوع، وبتكليف من رؤسائها الروحيين، مما يفترض أن ما كانت تكتبه كانت له قيمة اختبار لحقيقة نعمها الصوفية أمام أعينهم. وهذا ما دفعها إلى عدم البوح بانتشاءاتها وتجلّياتها وتوجُّداتها الصوفية بطريقة سهلة التفسير، فكانت النتيجة أن اختنقت في داخلها عاصفة تعبيرية متوافقة مع عواصف الجهد الروحي التي تعبر دربها للكمال والقداسة، ولم يبق أمامها سوى الشعر تشحن أبياته بالغنائية الموحية، بالأريج